أثر العلاقات الاجتماعية والتقويم على الطالب

د . يوسف القاضي

لقد خلق الله الانسان وخصه بميزات عقلية ولغوية ليسهل عليه التمتع بما خلق سبحانه وتعالى . وللتفكير بماضيه وحاضره ومستقبله . وليشكره على آلائه ونعمه التي لا تحصى .

ويولد الطفل أول ما يولد وليس له من الحول والقوة الا ما يساعده على شعوره بالامن والاطمئنان . وما هو متعلق بطعامه ونظافته . فهو يعتمد على والديه أو ذويه اعتمادا كليا في رعايته وتوفير أسباب الحنان والقبول والرفق والغذاء والمأوى له .

ويندرج الطفل في مدارج النمو على مر الأيام . فينمو جسميا وعقليا ونفسيا واجتماعيا وينزع للاستقلال رويدا رويدا عن ذويه ليكون لنفسه شخصية متميزة عن غيرها من ابناء جنسه . وهذا ما يسمى بالفروق الفردية .

الفروق الفردية والتقويم :

من المتعارف عليه تربويا ونفسيا أن لكل فرد من الأفراد ميزات وخصائص ومقدرات خاصة لها حدودها التي لا يمكن تجاوزها[1] ، وهي كفاءآت وخصائص تولد مع الطفل على صورة استعداد يعوزه البروز والنمو والتطور المستمر ، وهذا يتطلب تحريضا وتشجيعا وتشويقا من البيئة التي يعيش فيها الطفل وخاصة من الوالدين والعائلة التي ينتمي اليها . فلا بد لنمو هذه الكفاءآت والقدرات من تغذية وتنمية شأنها في ذلك شأن الخصائص الجسمانية .

ومسئولية الوالدين حيال ولدهما النامي تتضمن ضمن ما تتضمنه وجوب مراعاة ما عنده من استعداد وقدرات ، فلا يكلفونه ما هو فوق طاقته ، ولا ما هو غير معد له ولا مهيأ . فلا يوجهانه الى ممارسة أمر لا يملك المقدرات اللازمة لتحقيقه ولا يهيئان له كما ينهج منهجا لا تتفق خصائصه مع خصائص الفرد وقدراته ومن هنا يمكننا القول ان مسئولية الوالدين تتضمن العمل على تنمية استعدادات الطفل عن طريق تشجيعها المستمر ، وتغذية مواهبه الخاصة به تغذية مستمرة متواصلة لتنمو هذه المواهب وتساعده في تكوين شخصية مستقلة تؤهله ليشق طريقه بنجاح في هذه الحياة . وهذا ليس بالامر الهين ولا بالسهل المنال ، فالأمر يتطلب معرفة ورغبة صادقة ، وجهدا وعناية من قبل الوالدين والقائمين على رعايته وتربيته .

ومما تقدم يتضح لنا أهمية العلاقات الاجتماعية والعائلية وأثرها على الفرد وعلى سيره ونشاطه بصورة عامة . وهذا ينطبق على الطالب كما ينطبق على غيره ممن يخوضون معترك الحياة على اختلافها وتنوعها . فقد دلت التجارب التي قام بها عدد من المربين وعلماء النفس أن من أفضل أنواع العلاقات التي تربط بين الوالدين وأطفالهم ما يغلب فيها طابع الحب والمكافأة والاحترام المتبادل ، على طابع الحنق والعقاب بحيث يحد ويخفف من أثر العقاب ، ويحصره في نطاق مقتضيات الحياة الواقعية من اجتماعية واقتصادية وتربوية . ففي رجحان كفة الحب والتشجيع والمكافأة على كفة الحنق والغيظ توفير للأمن اللازم لنمو الطفل نموا طبيعيا سويا مقبولا من المجتمع. كما أن في القدر اليسير من العقاب تكمن بذور القلق الذي تتطلبه الحياة الطبيعية الواقعية . فيشب الطفل وهو مهيأ بدوره في الحياة على وجه مرضى ومقبول . وهذا يختلف من طفل لطفل ، فلا يمكن التعميم ولو كانوا أشقاء .

وكما ان لنوع العلاقات الاجتماعية والعائلية دخلا ملحوظا وأثرا واضحا على حصول بعض الاضطرابات التي يعاني منها بعض الطلبة في المدارس ، فان للمدرسة كذلك ، وللمادة الدراسية والمناهج ، والمدرس ، وطريقة التدريس ، لها كلها مجتمعة أو متفرقة آثارها التي قد تسبب الاضطرابات والبلبلة الفكرية لدى الطالب ، مما قد يؤدي به الى ترك المدرسة والدراسة بنفوره منها ، او بعدم تجاوبها في ترتيب نشاطات الطفل وتنظيمها وتهيئتها لتتناسب مع متطلبات الفرد الاجتماعية والعقلية والنفسية والجسمية .

مما تقدم نستنتج مدى تأثير العلاقات الاجتماعية والعائلية في توجيه الطالب ، وان تفهمها من قبل الوالدين والمدرسة يعتبر واجبا تربويا لانه قد يوفر على الطالب الكثير من الوقت والجهد ويبعد عنه الكثير من الاضطرابات النفسية والاجتماعية والتربوية التي يعاني منها العديد من الطلاب، والتي يمكن ارجاع اسبابها ومسبباتها الى امور نفسية وتكوينية واجتماعية

وتربوية . فتتضافر جهود المدرسة والبيت لتوفير الجو المناسب للطالب من الامور التربوية التي لا غنى عنها لمساعدته في النجاح وتخطي الصعوبات التي تعترض سبيله . فبالاضافة للامور التربوية والاجتماعية التي ذكرت أعلاه والتي لها دخل ملحوظ في تقرير مستقبل الطالب ونجاحه . وهناك الامتحانات الرسمية التي تسبب للطالب الكثير من الاضطرابات النفسية والعصبية خاصة وان خطورة هذه الاضطرابات قد لا تقف عند فترة معينة من فترات الامتحانات فقط . بل تتعداه الى حياة الطالب ومستقبله .

التقويم والامتحانات المدرسية :

من الأسئلة التي تتردد على الالسنة قبيل نهاية السنة الدراسية تلك التي تتعلق بالاضطرابات النفسية التي تصيب الطالب خلال ايام الامتحانات المدرسية النهائية الرسمية منها وشبه الرسمية . فالى اي مدى تؤثر تلك الاضطرابات على حياته الطالب في حاضره ومستقبله ؟

مما لا شك فيه أن التفكير في الامتحانات النهائية والاقتراب من مواعيدها يسببان ارقاً وهموماً لكثير من الطلاب حتى المتفوقين منهم . وخاصة اذا كانت الاهمية المعطاة لهذه الامتحانات والنتيجة المترتبة عليها كبيرة . بحيث تقرر مصير الطالب الدراسي وربما مصيره في الحياة المقبلة .

فمن المتعارف عليه علميا ان التفكير وثيق الصلة بالانفعال . والفرد الذي يعاني انفعالا حادا يتعرض . في معظم الحالات . للمعاناة من توتر عصبي وذهني فيصبح والحالة هذه . غير قادر على التفكير تفكيرا سليما . فيستحيل عليه ان يتبين الامور على حقيقتها او ان ينظر للأوضاع نظرة موضوعية لا تشترك فيها نوازعه الشخصية او تحرفها عن معانيها وفحواها اضطراباته الانفعالية . فعوامل الفشل والنجاح والرهبة من الامتحانات يسبب للطالب الكثير من الاضطرابات النفسية والعقلية التي تتنازع تفكيره وتنغص عليه حياته في المنزل وفي المدرسة . وربما بقيت آثارها الى ما بعد انقضاء مدة الامتحانات وظهور النتائج . وربما تعدتها لتلازمه مدى الحياة .

الاختبارات الشهرية كمحاولة للتخفيف من آثار الامتحانات النهائية :

لقد تنبه كثير من المربين والمشرفين على المدارس والتعليم الى اخطار الامتحانات النهائية . فعملوا للتخفيف من شأنها والتقليل من وزنها . فبدلا من ان يجعلوا من امتحانات نهاية السنة الدراسية المقرر الوحيد لنجاح الطالب او فشله . (وهذا مما يدعو الطالب للتفكير فيها باستمرار والالتهاء عما يدور حوله في حياته العادية . فتعيق نموه الاجتماعي والنفسي والجسمي) . جعلوها . مضافة اليها أعمال السنة كلها معيارا لمعرفة تقدم الطالب ومدى استيعابه وتفهمه للمادة . كما انه أصبح بالامكان ان يعرف المدرس . بعد دراسة نتائج أعمال

السنة بالتالي . نجاح طريقته التي يتبعها بالتدريس في حينه . فيعمل على تطويرها حسبما تقتضيه ظروف العمل ليضمن تفهمهم للمعلومات والعمل على توظيف تلك المعلومات للوصول الى الاهداف المرجوة . لذلك فقد اتجه الكثير من المدرسين لاجراء اختبارات اسبوعية او شهرية (دورية) . تضاف الى ملاحظاتهم المستمرة للطالب داخل الفصل وخارجه مما يمكنهم من معرفة قدرات طلابهم بصورة أحسن وأدق عن ذى قبل . كما انهم اصبح بمقدورهم تقويم طريقة التدريس التي يتبعونها وتعديلها او تطويرها قبل فوات الاوان . (لقد فاتهم فرص كثيرة عندما كانوا ينتظرون الى آخر العام الدراسي او الى آخر الفصل الدراسي لاجراء تقويم للطلاب) .

ومع ان الاختبارات الاسبوعية والشهرية ظلت قاصرة عن تحقيق الهدف المرجو منها . ألا وهو مساعدة الطلاب . والمدرس على تبين طريقة تدريسه والدراسة بصورة عامة الا ان لها فوائد اخرى يمكن ايجازها بما يلي : —

أ — امكانية تعديل وتطوير المادة الدراسية بما يتلاءم وحاجة الطلاب .

ب — امكانية مساعدة الادارة المدرسية في تطوير وتعديل المناهج المدرسية بما يتلاءم وحاجة المجتمع والطلاب والمدرسة .

ج — امكانية مساعدة اولياء امور الطلاب على تفهم نشاطات ابنائهم المدرسية والاجتماعية فترة بعد فترة وبصورة مستمرة . بدلا من الانتظار حتى نهاية العام الدراسي لمعرفة رسوب ابنائهم ونجاحهم .

وبالرغم من المحاولات المتكررة من آثار الامتحانات النهائية . الا أنها لا زالت تعتبر المعيار الذي يقرر مصير الطلاب في كثير من بلدان العالم : ونتيجة لهذا الاعتبار فان الكثير منهم يغفلون واجباتهم الصحية والاجتماعية التي يستحسن أن يمارسونها كأعضاء نافعين في مجتمع متطور . يغفلون عنها وينغمسون في التفكير المستمر بالامتحانات النهائية فينسون تناول غذائهم بصورة مستمرة ومنتظمة مما يسبب لهم هزالا وضعفا جسميا . وهذا الضعف في الجسم يؤثر على التفكير السليم للطالب . والنتيجة لهذا الهبوط في معظم الحالات. أما انه يكون على شكل تدهور عام وانهيار صحي . او تذمر ونفور من المدرسة والدراسة بشكل عام . ومن ثم التشرد في الازمة . وممارسة اعمال لا طائل من ورائها . ويمكن تخفيض آثار الامتحانات النهائية كما يلي : —

أ — حالات من الأرق وقلة النوم أو صعوبته . وهذا مرده في الغالب للارهاق واختلال نظام النوم مع ما يصاحبه من تراكم الافكار وتشابكها .

ب — طغيان التفكير المستمر في النجاح وتوقع الفشل ونتائجها . وهذا متعلق بالاهمية المعطاة للامتحانات النهائية . فكلما كانت كبيرة كلما كان التأثير أعمق وأهم .

ج — ضعف عام في الجسم . ومرد هذا الى قلة الاكل وسوء التغذية . وعدم انتظام تناول الوجبات . بالاضافة الى ما تسببه من أرق وسهر وتشعب الافكار .

د — كنتيجة لما سبق ذكره . فقد تنشأ حالات واضطرابات نفسية . فتزيد من اضطراب

العقل وتشويشه وتطغى على تصرفات الطالب — فتشلها شلا جزئيا او كليا .

ه — اغفال واجبات اخرى كالواجبات الاجتماعية والصحية والجسمية بصورة عامة .

نستنتج مما سبق ذكره . أن للامتحانات النهائية آثارها المضرة بمستقبل الطلاب بصورة عامة . فاذا كان لا بد منها ولا يمكن الاستغناء عنها بالمستقبل القريب فانه من المستحسن ان يهيأ الطلاب لها . وكبداية لتهيئة الطلاب نورد لهم بعض النصائح لعلهم يستفيدون من تطبيقها .

نصائح للطلاب :

الهدف من ايراد هذه النصائح هو الاستعانة بها قدر الامكان لتعين الطالب او لتكون ذات نفع له في التغلب على بعض الاضطرابات التي ورد ذكرها . وتمكنه من التصرف بحكمة اثناء ادائها . مفترضين ان المادة المعطاة هي في مستوى الطالب ومتناوله . وأن المناهج الدراسية مناسبة وموزونة ومنظمة حسب المستوى . وحسب حاجة الفرد وحاجات المجتمع الذي يعيش فيه ويتعامل معه .

وهذه بعض النصائح : —

١ — من المفروض ان يكون الطالب قد قام بدراسة المادة المعطاة له وفهمها على مدار الفصل وعلى دفعات . وهذا يسهل له مراجعة المادة واستذكارها وقت الامتحان النهائي .

أما اذا فاته فعليه ان يعرف النقاط الهامة في المادة . ويحاول فهمها فيما تبقى له من الوقت قبل دخول الامتحان النهائي . لأن محاولة فهم المادة كلها ان لم يكن مستحيلا . فانه من الصعب ان يقوم بذلك في وقت متأخر مثل الوقت الذي يسبق الامتحانات عادة .

٢ — تنظيم وقت الطلاب هو من الاهمية بمكان في تقرير فشله او نجاحه على ان يشمل التنظيم المخطط الواعي طيلة ايام دراسته . ويستمر معه في حياته العملية بعد انتهاء الدراسة .وهذا يعني تنظيم وقت الدرس . ووقت كاف للراحة والاستجمام لاستعادة نشاط قواه العقلية والجسمية . كما انه ينبغي تخصيص وقت كاف للنوم وآخر للأكل ووقت آخر لواجباته الاجتماعية على اختلافها . فالتخطيط الهادف لهذه الامور يجنب الطالب الكثير من الاضطرابات والتشويش الفكري . كما ويمكنه من استعمال وقته استعمالا مفيدا دون ضياع .

٣ — ان يبتعد قدر الامكان عن استظهار المادة وحفظها غيبا قدر الامكان . ويسعى جهده لفهم المادة فهما جيدا متقنا بحيث يتمكن من صياغتها بلغته الخاصة عند الاجابة عليها او مناقشتها واستعمالها . لان ذلك يثبت المادة في ذهنه لمدة اطول ويمكنه من تطويرها واستعمالها على اشكال مختلفة وحسب الحاجة لتطبيقها في المستقبل .

٤ — الاهتمام بتوفير الغذاء والراحة الجسمية للطالب ما امكن ذلك لان تجديد النشاط كما اسلفت . بتوفير الغذاء والراحة اللازمة له يعمل على تنشيط مدارك التلميذ الفعلية ويجعله اكثر استعدادا لتقبل معلومات ودراسات اكثر فأكثر . وبصورة فعالة . والاهمال في ذلك يؤدي العكس .

٥ — دخوله قاعة الامتحان بثقة وبصورة عادية ما امكن ذلك .

٦ — قراءة كل سؤال بتمعن وروية وتفهم قبل البدء بالاجابة . هذا بالاضافة الى معرفة ما هو المطلوب من السؤال فيحاول ان يجيب عليه فقط . حتى لا يضيع وقته في كتابة اشياء غير مطلوبة . لان الوقت اثمن من ان يهدر بدون فائدة ، وخاصة في أوقات الامتحانات النهائية .

٧ — بعد قراءة السؤال بتمعن وروية وتفهم ، على الطالب ان يكتب النقاط الرئيسية التي يعتبرها أساسية في الاجابة عن السؤال . ثم يبدأ بعد ذلك بتفصيل تلك النقاط وتوضيحها نقطة بعد اخرى حتى ينتهي منها جميعها .

٨ — عند الاجابة عن الاسئلة الطويلة ، التي تسمى اسئلة المقال على الطالب ان يعطى رأيه فيما كتب . لان ذلك يظهر مدى تفهمه للمادة وتمكنه من الاستفادة مما جاء فيها من معلومات ومهارات . فالتربية الحديثة تعتبر المادة وسيلة لبلوغ غاية أسمى من الحفظ والتسميع — الا وهي النمو المتكامل للتلميذ في النواحي العقلية والنفسية والاجتماعية والجسمية .

٩ — على الطالب ان يكتب بلغة صحيحة ومفهومة قدر الامكان ، على ان يكون خطه مقروءا وواضحا — فالاجابة المرئية والمكتوبة بلغة صحيحة توحي لقارئها بأن الطالب صاحب الاجابة ، هو انسان منظم لافكاره وعمله ، فيزيد ذلك من تقديره . فالقصد من الامتحان عادة هو معرفة نضوج الطالب ونموه ومدى تنظيمه للمعلومات والاستفادة منها ، لا ارهاقه او ارهابه ، او كتابة ما سبق ان حفظه من معلومات .

١٠ — المحافظة على تسلسل الافكار اثناء الاجابة ما امكن وربطها ببعضها البعض بحيث تكون وحدة متكاملة . وهذا يكشف عن مدى نضوج الطالب وتفهمه للمادة . وهي من الامور التي تسعى التربية الحديثة اليها وتشجعها .

١١ — على الطالب ان يحضر معه لقاعة الامتحان لوازمه والادوات المتعلقة بالامتحان .

١٢ — على الطالب ان يدخل قاعة الامتحان وهو قانع بما فهمه من معلومات ، لأن أية محاولة متأخرة لتفهم المعلومات او اضافة معلومات جديدة في الساعات الاخيرة التي تسبق الجلوس للامتحان ، ربما تؤدي لتشويش افكاره وتربكه بحيث يضيع بعض ما عرفه وفهمه سابقا .

هذه بعض النصائح اقدمها لطلابنا الاعزاء لعلهم يستفيدون مما ورد فيها حسبما تسمح لهم ظروفهم سائلا المولى أن يأخذ بيدهم لما فيه الخير والصلاح .

د. يوسف القاضي